

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[437] الإِسراء، إِذْ تَقُولُ (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا). أَوْ أَنْ
الآية المذكورة تشير إِلَى موضوع آخر أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ أَيْضاً، وَهُوَ أَنَّ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْبَشَرِ
هُمْ جَمِيعاً كَأَعْضَاءِ جَسَدٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا أَضْرَّ أَحَدُهُمْ بغيره فَكَأَنَّمَا أَضُرَّ بِنَفْسِهِ، أَيْ يَكُونُ بِالضَّبْطِ
كَالَّذِي يَصْنَعُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. وَالْأَمْرُ الْآخَرُ فِي الْآيَةِ أَنَّهَا لَا تَخَصُّ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْخِيَانَةَ لِمَرَّةٍ
وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَنْدَمُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا، حَيْثُ لَا ضَرُورَةَ لِلِاسْتِعْمَالِ الْعِنْفِ وَالشَّدَةِ مَعَ هَؤُلَاءِ، بَلْ هُمْ
بِحَاجَةٍ إِلَى الرَّأْفَةِ أَكْثَرُ، وَالشَّدَّةُ يَجِبُ أَنْ تُطَبَّقَ عَلَى الْوَلَدِ الَّذِينَ يَحْتَرِفُونَ الْخِيَانَةَ وَتَكُونُ
جُزْءاً مِنْ حَيَاتِهِمْ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْقَرِينَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ مِنْ خِلَالِ عِبَارَةِ (يَخْتَانُونَ) الَّتِي
هِيَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَرِينَةِ الْآخَرَى الَّتِي تَفْهَمُ مِنْ عِبَارَتِي
(خَوَانٍ) أَيْ كَثِيرِ الْخِيَانَةِ وَ(أَثِيمٍ) أَيْ كَثِيرِ الذُّنُوبِ، وَالْكَلِمَةُ الْآخِرَةُ جَاءَتْ لِتَأْكِيدِ عِبَارَةِ
"خَوَانٍ" فِي الْآيَةِ، كَمَا أَنَّ الْآيَةَ السَّابِقَةَ جَاءَتْ بِكَلِمَةِ "خَائِنٍ" الَّتِي هِيَ اسْمُ فَاعِلٍ وَالَّتِي لَهَا
مَعْنَى وَصْفِي يَدُلُّ عَلَى تَكَرُّارِ الْفِعْلِ. لَقَدْ تَعَرَّضَ الْخَائِنُونَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى إِلَى التَّوْبِيخِ، حَيْثُ
قَالَتْ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَسْتَحْيُونَ أَنْ تَظْهَرَ بِوَاطِنِ أَعْمَالِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ وَتُنْكَشِفَ إِلَى النَّاسِ، لَكِنَّهُمْ لَا
يَسْتَحْيُونَ لِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ تَقُولُ الْآيَةُ: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ
اللَّهِ...) فَلَا يَتَوَرَّعُ هَؤُلَاءِ مِنْ تَدْبِيرِ الْخَطِطِ الْخِيَانِيَّةِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّحَدُّثِ بِمَا لَا يَرْضَى اللَّهُ
الَّذِي يَرَاهُمْ وَيَر_اقِبُ أَعْمَالَهُمْ، أَيْنَمَا كَانُوا: (وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً). بَعْدَ ذَلِكَ تَتَوَجَّهُ الْآيَةُ (109) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ بِالْحَدِيثِ عَنْ شَخْصٍ
السَّارِقِ الَّذِي تَمَّ الدِّفَاعُ عَنْهُ، وَتَقُولُ بِأَنََّّهُ عَلَى فَرَسٍ أَنْ يَتَمَّ الدِّفَاعُ عَنْ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا
يَفْعَلُ الدِّفَاعَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَّ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لَهُؤُلَاءِ وَكِي لِيَرْتَبَ أَعْمَالَهُمْ
وَيَحْلُ مَشَاكِلَهُمْ؟! حَيْثُ تَقُولُ الْآيَةُ: (هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي